

الاتجاه السياسي في نونية الشاعر أبو بكر بوبى: دراسة أدبية تحليلية

إعداد:

ناصر أحمد صكتو

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي؛ صكتو- نيجيريا.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا ومولانا محمد خير خلق الله أجمعين القائل "إن من الشعر لحكمة"^(١) وعلى آله الطيبين وصحبه الطاهرين الذين قادوا الأمة على النهج السياسي المستمد من هدي القرآن، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد لقد جذب إنتباه الباحث إلى هذا الموضوع ما لاحظته أن للشعر العربي الصكتي نزعات سياسية تصور أمورا داخلية وخارجية للدولة الإسلامية الصكتية، وتحدد صفات القائد المثالي، والنهج الذي ينبغي أن يسلكه في سياسته. لذا تتبع هذا الشعر في عصر من عصوره الأدبية بمدينة صكتو فوقف على قصيدة فحل من فحول شعراء القرن العشرين وهو الأستاذ أبو بكر بوبى فوجد ضالته، فحاول دراسة القصيدة دراسة تحليلية، وقصده أن يلقي ضوءاً للراغبين في الأدب العربي الصكتي ليعرفوا أن في تراثنا الأدبي الزاهر دررا كامنة فيتحرروا أبعاد شخصيات لعبت دورا فعالا لنشر أفكار سياسية تناسب الإنسانية في كل زمن ومكان، وأهم من ذلك كله أن يجدوا فيه المثل الرائع والمقدوم. الحسنة ليلحقوا. بركب أولئك الأجداد ويقتفوا آثارهم.

تحتوي المقالة على مقدمة، وثلاثة نقاط والخاتمة على النحو التالي:

- ترجمة الشاعر.
- الشعر السياسي لدى الأستاذ أبي بكر بويبي.
- عرض تحليلي للقصيدة.
- الخاتمة.

ترجمة الشاعر.

هو العلامة الأديب اللغوي أبو بكر بن عبد القادر الشهير ببويبي، ولد حوالي سنة ١٢٨٨م، في "مسام"، وهي قرية في شرق عُندو^(٢)، نشأ وترعرع في كفالة والده، فشرع يتلقى مبادئ العلوم في الكتاتيب بدء بقراءة القرآن الكريم، تعلمه عند العالم "مالم حمزة" ثم اتصل بالعالم الشهير أحمد بن سعد وهو من أشهر من أخذ العلم من الأستاذ عبد الله بن فودي^(٣).

اتصل بالعلماء البارزين في عصره الذين تصدروا للثقافة الإسلامية ينهل منهم العلوم الدينية واللغة العربية وقواعدها حتى حصل على قسط وافر من الثقافة العربية الإسلامية. ومن المواد التي تعلمها أثناء طلبه للعلم النحو والصرف والبلاغة، والعروض والقوافي، قرأ أكثر الكتب المقررة للمواد المذكورة، منها كتاب الأجرومية وملحة الإعراب، وكتاب قطر الندى، وألفية ابن مالك، كما قرأ كتاب لامية الأفعال، وكتاب الحصن الرصين، وتعلم كتاب الجواهر المكنون وكتاب عقود الجمان وتلخيص المفتاح، بينما قرأ في الأدب العربي المختارات من دواوين الشعر الجاهلي ومقامات الحريري^(٤) وإضافة إلى ذلك فإن هذا العالم وقف على إنتاجات أدبية لعلماء الجهاد الإسلامي الصكتي واستفاد منها وتأثر بها.

عاش هذا الشاعر في فترتين متباينتين، فترة ما قبل الاستعمار البريطاني وفترة الإستعمار. قضى شطر حياته قبل الاستعمار البريطاني على بلاد نيجيريا بينما قضى الشطر الأخير في فترة الاستعمار البريطاني. يعتبر هذا العالم رائد الحركة الأدبية بمدينة صكتو التي تقاوم الأفكار الجديدة التي بثها المستعمرون ومن على شاكلتهم والمخالفة للقيم الإسلامية التي نشرها عثمان بن فودي وأصحابه. لقد نقد هذا الأديب سياسة المستعمرين في شعره مستخدماً أسلوباً مؤثراً جذاباً، ولعل قصيدته التائية خير ما يمثل ذلك. ويعتبر هذا الشاعر شيخ شعراء القرن العشرين وأنه فحل من فحول شعراء الطبقة الأولى من القرن العشرين. توفي هذا الأديب وهو ابن ست وستين وذلك سنة "١٣٥١" الهجرية، وكان ذلك في عهد أمير المؤمنين الحسن بن معاذ، قضى هذا الأستاذ عمره في خدمة الدين الإسلامي، ونشر الثقافة الإسلامية وخلف من الآثار الأدبية ما يشهد له بالسبق في المجال الأدبي.

الشعر السياسي لدى الأستاذ أبي بكر بوبي

لقد لعبت الأوضاع السياسية المخالفة للنظام السياسي الديني دوراً بارزاً في كثرة الشعر السياسي خلال القرن العشرين فنجد طائفة من الشعراء يعنون بتسجيل الأمور الداخلية، أو الخارجية للدولة، والمنهج السياسي الذي ينبغي أن ينفذه القائد المثالي. في سياسته، وقد يصطحب ذلك التذكير بسيرة الأسلاف الذين قادوا الأمة على هذا النهج السياسي المطابق للخلافة الراشدة "سياسة الخلفاء الراشدين رضوان الله تعالى عليهم".

وكان الأستاذ أبو بكر بوبي من هؤلاء الشعراء الذين استخدموا الفنون الشعرية لبت أفكارهم السياسية، وله عدة قصائد مدح فيها الأمراء والوزراء الذين أعجبه حسن سياستهم مثل قصيدته الرائية التي يمدح فيها الوزير محمد البخارى، وقصيدته النونية التي يمدح فيها أمير كتشنه التي هي موضوع هذه المقالة.

كان المدح أهم الأغراض التي تجلت فيها خصائص هذا الشاعر السياسية، ولعل هذا المدح لم ينشأ منه عن دافع تكسبي بل إنما يصدر عنه المدح لدافع ديني سياسي لأنك تلمس في مدائحه رابطة بين المدح والإشادة بالسياسة الشرعية التي يعتقدها الشاعر ويؤمن إيماناً جازماً أنها المنهج السوي المطابق للحياة الإنسانية، أضف إلى ذلك أنك تلمس في مدائحه صورة سياسة ارتضاها والتي مدارها العدل والإنصاف للرعية والذب عن المستضعفين.

عرض تحليلي للقصيدة.

وهذه القصيدة نونية القافية صاغها الشاعر على البحر البسيط وتقع في ثمان وثلاثين بيتاً. وليس قصد الباحث دراسة هذا النص دراسة فنية وإن كان النص آية من آيات الفن، بل إنما يقصد ضرباً آخر وهو تحليل أفكار الشاعر الناتجة من مدحه لأمير كتشنه. لقد اعتمد هذا الشاعر على الشعر لبيث فلسفته نحو السياسة، وكان موفقاً غاية التوفيق حيث أن للكلام العذب أثراً تجاه نشر الآراء والأفكار في الآفاق.

لقد سار هذا الشاعر في معالجة هذه القصيدة على طريقة الشعراء القدامى، في مدائحهم فنسج مدحه فيها على منوالهم. ويمكن تقسيم هذه القصيدة إلى ثلاثة طوائف.

الأولى منها عبارة عن مقدمة تقليدية عالج فيها الشاعر موضوع الوقوف على الديار ثم التشبيب كعادة الشعراء القدامى وتستغرق أبياته في هذه الطائفة تسعة أبيات. قال فيها:

قف بالديار وسل عمن بما ظعنا عن أيما جهة صاروا بما قطنا
 كم فيهم من أناس قد ألفتهم قوم هداة ثقة سادة أمنّا
 على بسيط من الأرض الأنيفة لا خضخاضة رملها مستجد خزنا
 بل في رواب رواب تطمئن بما حوباء ساكنها لما لها سكنا
 عقنقلا وجماهيرا ضفت وصفت واعشوشبت أرضها واعذوذبت وطنا
 فيها العماليل لا تنفك عن نمر تصطاد ما قد رأّت لما أتى وكنا

وقف الشاعر في هذه الأبيات على المنازل الخالية متسائلا عمن كان يعرفهم من الأحبة في الله الذين عاشوا في عيش رغد (عبارة عن التمسك بالدين الإسلامي) فظعنوا عن منازلهم مهاجرين فرارا بدينهم.

واستمر الشاعر يصف هؤلاء الأحبة فإنهم هداة ثقة أمناء بل إنهم سعداء أيما السعادة ثم إن الشاعر ربط الوقوف على المنازل الخالية بوصف أرضهم إنهم أنف يكثر فيها الماء ولشجر بل إنهم أرض طاب مسكنها ويتمادي في وصف صحارى هذه الأرض بكثرة الرمل والنباتات وأن فيها الوحوش الضارية التي تصطاد الفرائس الدواني والقاصية.

ثم انتقل الشاعر إلى وصف فتاة تعيش في هذه المنازل قائلا:

كم فيهم من فتاة إن بدت خجلت شمس وصارت بذاك البدر ممتحنا
 تحتال بين الغواني شأنهن بما رفع الأغاني بصوت راق واتزنا
 يأتين ميسا سكارى فوق عوكلة بعض القواعل قد يأتينه أرنا

وصف الشاعر الفتاة بالحسن والجمال فوجهها مثل الشمس تارة وكالبدر بين النجوم تارة أخرى تلاًماً وضياء، وإذا خرجت تمشي فوق الكتيب متبختره مائلة تطوف بين الغواني مرتفعات الصوت الرقيق مترنمات في غنائهن.

ولعل الشاعر أراد أن يربط هذا التقديم بمعنى وهو شوقه الشديد إلى الإخوان الذين هاجروا فراراً بدينهم من بلاد صكتو إلى السودان. قاصدين الأراضى المقدسة، ولم لا يشناق هذا الشاعر إلى الهجرة والمستعمرون المستدمرون فرضوا على المجتمع الذي يعيش فيه أوضاعاً سياسية تخالف النظام السياسي المدني إرتضاها الشاعر، ولا أدل على ذلك من عزم الشاعر هو الآخر إلى الهجرة لولا أن سده دون ذلك أمير المؤمنين الحسن بن معاذ. وهذا يشبه شوق الشنفرى إلى المهجر عندما يقول^(٥):

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى * وفيها لمن خاف القلى متعزل
وأما الطائفة الثانية فتمثل في تخلص الشاعر إلى الفكرة الرئيسية للقصيده وهي المدح السياسي، تخلص إليه برفض أولئك السعداء المهاجرين كيلا يشغله ذلك عن الفكرة الرئيسية فأبدى إعجابه بالمدوح. أن تحلى بمكارم الأخلاق. من السخاء، والشجاعة والثبات على الحق وفي ذلك يقول:

دع عنك ذكر أناس قد خلوا ومضوا فليس مثلك في أمثاله حسنا
أعد مقالا إلى ذكراك في ملك مبارك وجهه قد كان في كشنا
سميدع^(٦) سلفح دراكه ذرب^(٧) مستودع كل أمر بان أو بطنا
لله در أمير زانه كرم لكل دان ومن عن داره شطنا

ومن روائع الصفات المثالية التي وصف الشاعر ممدوحه بها في هذه القطعة الإحسان على حاسديه المستئين له بدلا. من الانتقام منهم عملا بقوله تعالى: ﴿إِذْ دَفَعْنَا بِالْحَمِيمِ﴾ (فصلت: ٢٤).

وتحس هذا المعنى في قوله:

وذاك ذك الذي أندكت عداوته* من حاسديه فصاروا بعده دمن
وبما أن الممدوح يصبر على حسد الحاسدين ويعفوا عن إساءة المسيئين
تلاشت عداوة أولئك الحساد فأصبحوا أوليائه فصلحت خصالهم بحسن سياسة
هذا الأمير.

ولما كانت الخلافة في منظور الإسلام جلب مصالح المسلمين، ودرء المفساد عنهم، فإنه لا يستعني من ولى أمر الرعية عن ناصح من العلماء المخلصين. هذا ما قام به هذا الشاعر حيث تصدى تصديا إيجابيا فقدم نصائح غالية لممدوحه، وأرشده إلى الأخذ بالنظام السياسي الإسلامي، وأنذره بأن يتقى الله في إمارته، وأن يعدل بين الرعية، وألا يعجل في إنفاذ حكم على أحد من الرعية حتى تظهر عليه البينة. وفي ذلك يقول:

وبعد فالقصد مني بعد التحية أن	تخشى الإله دواما تشكر المننا
فإن اسمك قد شاعت محاسنه	لا نسمع منك إلا منطلقا حسنا
قد شاء خيرك في البلدان قاطبة	قد انطق الله في خيراتك اللسنا
واقن التدبر فيما أنت تفعله	لا تجعلن على المقضى حيث عنا

ثم استمر الشاعر ينصح الممدوح ألا يظلم أحدا من الرعية فيكون ذلك سببا لتدمير إمارته وعليه "الأمير" أن يعاقب الظالم بغض النظر عن شرفه حتى يؤمن الرعية على حياتهم وأموالهم فيوئد الأمن والسلامة ويحافظ على النظام وقال:

إياك والظلم إن الظلم سيئة فالظلم لا ينجلي عن أهله بمنى
وإن أتاك ظلوم فأنقم به هو الذي كنت في تعذيبه قمنا

يبدو في البيت الأخير أن الشاعر يحرض الممدوح أن يتحلى بسيرة الخلفاء الراشدين مثل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه الذي وعد وعدا شريفا أن سينتقم من الظالم بغض النظر عن شرفه قائلا^(٨): "والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله"

ثم عرض الشاعر للأمير صورة مجلس أهل الحل والعقد الذي ينبغي أن يتخذه في نظامه الإداري، يبدو ذلك في تحذيره للأمير ألا يواز الرعاع والغوغاء والأشرار ولا يرض عنهم بل يتغافل عن خصالهم الرذيلة متى قاربوه وقال:

لا يستفرك أقوام زعانفة^(٩) كأن الأراجيف في أفواههم سننا
وجاف عرضك عن أصحاب عجرفة^(١٠) قد ضاع أعمارهم في غيهم زمنا

وفي تصويره الأخبار الكاذبة المثيرة للفتنة وتقرب هؤلاء الأشرار بهذه الصورة التي تخيلهم لك مماثلين أمامك يحاولون إرضاء الأمير بنميمتهم، ولا أدق من هذا التشبيه الذي صنعه الشاعر "كأن الأراجيف في أفواههم سننا" ليظهر لك قبح فعلهم مطابقا لما حكاه الله تعالى. ﴿أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ (سورة الحجرات، الآية: ١٢). وليجعلك تشمئز منهم نفسك ويضيق بهم صدرك.

ولما كان الملك شيئاً موقوتاً له نهاية فإنّ الشاعر ربط أفكاره تجاه النظام السياسي بادكار الموت ولاستعداد له، فإنّ ذكر الموت يقتضي ملازمة الحق ومخالفة الهوى. فذكر الأمير أنّ يستعد للموت بالحسنين العدل للرعية، والكف عن الجور لأنّ العدل يوجب محبة صاحبه، كما أنّ الجور يوجب مقتته عنه. وفي ذلك يقول:

فالموت أقرب شيء تتقيه فلا ** تغفل عن الموت كن في ذكره قمنا
بذاك تقوى على الطاعات تفعلها ** وتترك العمل المنهي حيث عنا
ثمّ أشار إلى الإدارة الناجحة وهي أنّ يهتم الأمير بدفع المفسد ثمّ القيام
برعاية المصالح العامة، والإحسان على الضعفاء والمساكين قائلاً:

وكن أموراً لوجه الله صالحة ** وناهياً لأباطيل وكل حنا
وكن رحيماً لأيتام وأرملة ** ومقعدة قد غدا في البيت قد سكنا
يروعك من البيتين إعجاب الشاعر بالقائد الذي يتحلّى بالشجاعة الفائقة
والإحسان على المستضعفين في الأرض والرأفة واللين للضعفاء.
هذا، ولا يخامر الباحث شكّ أنّ الشاعر يستردّ مجد المجتمعات النيجيرية
المسلمة التي كانت على مذهب سياسي يهدف إلى رعاية مصالح الرعية ودرء
المفسد عنها. أضف إلى ذلك أنّ الشاعر ممن ذاق مرارة سياسة مضادة للسياسة
الإسلامية.

والأفكار الصادرة من الشاعر في هذا القسم توحى بالقُدوة الحسنة للخلف
ممن سيتولون زمام القيادة فيستنبطون به في التدبير السياسي والنظام الإداري.
حبذا لو أنّ قادتنا المعاصرين طبقوا هذه النصائح الغالية في سياسيتهم ولعلّ ذلك

يكون حلا للمشاكل العويصة والأزمات العائقة التي كانت سدّ دوننا والسعادة والإرتقاء أمدا طويلا.

وحدير بالذكر أن فلسفة الشاعر السياسية الملموسة في هذه الطائفة تشير إلى ما حواه قوله تعالى: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ (سورة ص، الآية: ٢٦) وأما الطائفة الثالثة والأخيرة من القصيدة فعبارة عن الدعاء للممدوح حيث دعا الشاعر له أن يشد الله أزره، ويعينه في تدبير شئوون إمارته، وأن يقيه من شر الأعداى وشماتة الشامتين، ومن الفتنة، وأن يمد عمره خدمة للأمة الإسلامية قائلا:

أعانك الله فيما أنت تفعله ** عونا ويدفع عنك الشر والفتنا
تعيش عمرا طويلا تستفيد به ** عزا وتقضي به دركا لنيل منا
ثم إن الشاعر ختم القصيدة بالثناء على الله وبالصلاة على سيدنا محمد أشرف المرسلين كعادة أكثر شعراء مدينة صكتو وقال:

الحمد لله رب العالمين فقد ** تم النظام بعون منه واتزنا
صلى الإله على المختار سيدنا ** محمد وعلى أصحابه الأمانا
إتضح لنا بعد العرض التحليلي للقصيدة أن المدح - سلك في سبكها الأسلوب المستخدم لدى الشعراء المجددين في معالجة فن المدح السياسي، إذ غاية هذا المدح لا تختلف عن غاية مدائح أولئك الشعراء وهي السياسة والإشارة إلى صورها سواء أكانت صورة سياسة داخلية، أم خارجية، وينتصرون لمذهبهم السياسي، وهذا ما فعله الشاعر غير أننا لم نلمس في القصيدة صورة سياسة

خارجية إذا. قارنا بينه وبين أبي. تمام الشاعر العباسي الذي سجل إنتصارات ممدوحه المعتصم الخليفة العباسي على بلاد الروم في بئيته^(١١) ومطلعها:
السيف أصدق أنباء من الكتب* في حده الحد بين الجد واللعب
هذا، وبالإضافة إلى جميع ما تقدم فإن القارئ يدرك في القصيدة فقدان صورة الشعر السياسي يكثر ظهورها في هذا الفن وهي توطيد السلطة وبسط نفوذها مثل قول الأستاذ عبد الله بن فودي^(١٢):

فابيض وجه الدين بعد محاقه واسود وجه الكفر بعد التبليج
والدين في عز ونهج منهج والكفر في ذل ونهج منهج
والسنة الغراء صبح ينجلي والبدعة السوداء ليل يدجي
ويرجح الباحث أن الشاعر (الأستاذ بوي) لم يتعرض إلى هذه الظاهرة لأن الظروف متباينة حيث أصبح القيام بالجهاد لحماية بيضة الإسلام، وبسط نفوذه شبه مستحيل في عصر الشاعر، ذلك أدن شوكة المسلمين استضعفت وأدن السلطنة والنفوذ بأيدي المستعمرين.

الخاتمة

تناولت المقالة في الصفحات السابقة عرضاً تحليلياً لقصيدة فحل من فحول شعراء القرن العشرين ذات طابع سياسي، بدءاً بترجمة الشاعر، ثم الحديث عن الشعر السياسي لدى الشاعر ثم تحليل القصيدة.
تجلى في المقالة أن الشاعر وقف بجانب مذهب سياسي طبقه عثمان بن فودي، تغمد الله برحمته فأيده في فن شعري (الملح) ثم انتصر لهذا المذهب، ومدح الأمير الذي قاد الرعية على هدي ذلك المذهب. و يمكن أن يقاس هذا

الغن بغايته التي يرمى إليها ويحيا في سبيلها، فيحكم بأنه شعر سياسي، وإن لم يتناول الشاعر النظريات السياسية ومعانيها.

ويستنتج من القصيدة ثلاثة أشكال للسياسة التي يعتقدونها الشاعر: الأول يمثل صفات القائد المثالي وهي التحلي بتقوى الله في تدبير شئون الدولة، إعراف الشاعر بأن ممدوحه يتحلى بهذه الفضائل. والثاني يمثل دور القائد وهو الكف عن الجور. ثم بسط العدل والإنصاف في قيادته. والثالث يمثل من يستوزرهم القائد في إنفاذ الحكم وهم الأتقياء والصالحون.

هَذَا. لقد سبق أن ذكر الباحث أن المقالة ستتناول عرضاً تحليلياً لقصيدة ذات طابع سياسي لفحل من فحول شعراء القرن العشرين (الأستاذ أبو بكر بوبى)، يرجو الباحث أن الأمل قد تحقق فيما قدمه.

الهوامش والمراجع:

- (١) البخاري محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري. المجلد الرابع ج/٧، دار الفكر ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ ص: ١٠٧
- (٢) الدكتور يحيى محمد الأمين، الأستاذ أبو بكر بوبى. وإنتاجاته الشعرية، مخطوط، ص: ٦
- (٣) المرجع السابق، والصفحة نفسها.
- (٤) نفس المرجع، ص: ١٤
- (٥) البيت من لامية العرب، للشنفرى الأزدي. أنظر: سعد حسين عمر مقبول وآخرون، الأدب والنصوص. والبلاغة ج/١، جمعية الدعوة الإسلامية الليبية بلا تاريخ، ص: ٦١

- (٦) سميذع: سيد، كريم، سخي، أو. الرئيس، أو. الشجاع. أنظر: المعجم الوسيط، مادة السين، ج/١، دار الفكر، ص: ٤٤٨
- (٧) ذرب: فصيح اللسان، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص: ٣١٠
- (٨) محمد إسماعيل إبراهيم وآخرون، تاريخ العالم الإسلامي، للصف الثاني المتوسط، المملكة العربية السعودية ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، ص: ١٣
- (٩) الزعانفة: القطعة من القبيلة تشذ وتنفرد.
- (١٠) العجرفة: جفة في الكلام وخرق في العمل، أنظر: الرازي محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح مؤسسة دار العلوم، ط/٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص: ٣١٣
- (١١) البيت للشاعر أبي تمام، راجع: الدكتور حسن شاذلي فرهود وآخرون، الأدب والنصوص للصف الثاني المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص: ١٠٧
- (١٢) الأبيات من جيمية عبد الله بن فودي، راجع: تزيين الورقات مخطوط، الناشر الأستاذ أبو بكر باي وعبد الرحمن بن عثمان ١٣٨٣هـ، ص: ٢٢